

تأثيل (البنية العميقة) في مدونة التراث العربي

أ . م . د. آلاء علي عبد الله العنبي

كلية الإمام الكاظم (ع) / العراق

استلام البحث: 12/06/2022 مراجعة البحث: 24/08/2022 قبول البحث: 26/08/2022

ملخص الدراسة:

تبحث هذه الدراسة في العلاقات التي تربط مقولات النحو التوليدي التحويلي بالتراث العربي ، وتحاول تقريب هذا المنهج اللغوي الحديث من تراثنا العربي اللغوي بالكشف عن أوجه التشابه أو التأثير ؛ ذلك لأن العلوم جميعها قابلة لأن تتأثر وتتغير . وإذا كانت الثقافة الإنسانية تتميز بخاصية التواصل ، فإن المساهمة التي يقدمها شعب ما في تراثه الثقافي ، تصبح جزءاً من التراث الثقافي الإنساني . ونظراً لضيق المقام فإن هذه الدراسة ستكتفي بتأصيل البنية العميقة من خلال البحث عما يقابلها في التراث اللساني العربي من مصطلحات ، وتوضيح المقصود بكل مصطلح منها ، وعليه فقد وزعت مادة البحث على ثلاثة مفاصل: أولاً : ما يقارب مفهوم البنية العميقة في النحو العربي . ثانياً : التسميات التي عبر بها القدماء عن الأصل . ثالثاً : آراء ومواقف من أصل التقدير .

الكلمات المفتاحية: البنية العميقة، تأثيل- التراث العربي.

Abstract

This study examines the relationships that link the categories of transformational generative grammar to the Arab heritage, and attempts to bring this modern linguistic approach closer to our Arab linguistic heritage by revealing similarities or influence; This is because all sciences are subject to influence and influence. If human culture is characterized by the characteristic of communication, then the contribution made by a people to its cultural heritage becomes part of the human cultural heritage. In view of the narrowness of the place, this study will be satisfied with rooting the deep structure by searching for the corresponding terms in the Arab linguistic heritage, and clarifying the meaning of each term. First: What is close to the concept of deep structure in Arabic grammar. Second: The names that the ancients used to express the origin. Third: Opinions and attitudes based appreciation

Keywords: Deep Structure, Athil - Arab Heritage.

المقدمة

غاية هذه الدراسة أن تبحث عن جذور نظرية لغوية معينة في نظرية لغوية أخرى ، نعني بالأولى : نظرية جومسكي التوليدية التحويلية ، ونقصد بالثانية ، النظرية التراثية العربية ، فهي محاولة لأن نتعمق في الدرس اللغوي الحديث ، وأن نحاول تقريب هذا المنهج اللغوي الحديث من تراثنا العربي اللغوي بالكشف عن أوجه التشابه أو التأثير ؛ ذلك لأن العلوم جميعها قابلة لأن تتأثر وتتأثر. وإذا كانت الثقافة الإنسانية تتميز بخاصية التواصل ، فإن المساهمة التي يقدمها شعب ما في تراثه الثقافي ، تصبح جزءاً من التراث الثقافي الإنساني . فهذه المتابعة المستمرة للعلم الحديث - إذن - تخدم في فهم التراث العربي القديم .

وعلى أية حال ، فإننا سنقتصر في دراستنا هذه على تأصيل البنية العميقة في المدونة التراثية العربية وذلك من خلال البحث عما يقابل (البنية العميقة) في التراث اللساني العربي من مصطلحات ، وتوضيح المقصود بكل مصطلح منها ، وعليه فقد وزعت مادة البحث على النحو الآتي :

أولاً : ما يقارب مفهوم البنية العميقة في النحو العربي .

ثانياً : التسميات التي عبر بها القدماء عن الأصل .

ثالثاً : آراء ومواقف من أصل التقدير .

أولاً : ما يقارب مفهوم (البنية العميقة Deep structure) في النحو العربي .

إذا كان التحويل في الفكر النحوي الحديث قد قام على أساس أن هناك لكل جملة يلفظها المتكلم بنيتين إحداها مجردة ذهنية تدعى (البنية العميقة) Deep structure والأخرى صوتية تطبيقية تدعى (البنية السطحية) Surface structure ، وكان لابد من التحويل بوساطة قواعد تدعى (القواعد التحويلية) Transformational Rules تقوم بوظيفة نقل البنية العميقة من عالم الفكرة المجردة إلى عالم التحقق الصوتي ، فإننا نجد ما يقارب هذه الفكرة نفسها في منهج النحاة العرب القدامى في تناولهم الظاهرة اللغوية ⁽¹⁾ ؛ فقد كان منهجهم يقوم على افتراض (بنية عميقة) لم يعبروا عنها بالطبع بهذا المصطلح ، ولكنهم عبروا عنها باصطلاحات مختلفة تبدت في معالجتهم ، و(بنية سطحية) لم يعبروا عنها أيضاً بهذا المصطلح ، ولكنهم عبروا عنها بما يفيد هذا المفهوم وتعاملوا مع عدد من (القوانين التحويلية) التي تحكم تحول البنية العميقة إلى بنية سطحية ⁽²⁾ .

إذ يرى النحاة العرب القدامى أن هناك دائماً (أنموذجاً) أو (أصلاً) أو (معياراً) مقدراً تجريبياً في الغالب يقوم الكلام الحي بتنفيذه وإخراجه من حيز التقدير أو الافتراض إلى حيز الوجود ⁽³⁾ . إن ذلك (الأنموذج) أو (الأصل) يقترب في مفهومه من إحدى مقولات النظرية التوليدية التحويلية وهي مقولة (البنية العميقة) Deep structure التي تقابل الفرع (البنية السطحية) Surface structure ⁽⁴⁾ .

(1) ينظر : من الأنماط التحويلية في النحو العربي / 21 .

(2) م . ن . 38 / 38 .

(3) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة / 29 ، ومن الأنماط التحويلية في النحو العربي / 21 .

(4) ينظر : التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث / 47 - 48 .

فالأصل هو ((أول يبني عليه ثانٍ))⁽⁵⁾ . وهو ((ما حق التركيب أن يكون عليه ، وإن لم يُنطق به))⁽⁶⁾ . وهو مصطلح افترضه النحويون العرب القدامى للصوت والكلمة والجملة ، وأطلقوا عليه اسماً جامعاً هو (أصل الوضع)⁽⁷⁾ . ويطلق الأصل على (التقدير) فعندما يقال : أصله كذا ، يعني ذلك : تقديره⁽⁸⁾ . وهو خاضع للتغير والعدول عنه إلى الفرع . وأما الفرع فهو ((ثانٍ يبني عليه أول))⁽⁹⁾ ، وهو ((ما كان جزءاً من الأصل أي : انه متفرع عنه))⁽¹⁰⁾ .

وقضية (الأصل والفرع) هي إحدى القضايا المهمة التي شغلت تفكير أسلافنا القدماء فتناولوها بالبحث والتدقيق والتعليل ، وغلبت على صفحات مؤلفاتهم، وقدموا لها الأدلة والبراهين . ولعلّ للذهنية العربية وتأثرها بالمنطق ونمطية الإرث الفكري أثراً أساسياً وفعالاً في البحث عن (الأصالة والفرعية) . فغلب على تفكيرهم التقنين والتأصيل اللذان انعكسا على جلّ مباحثهم اللغوية⁽¹¹⁾ . فقد جعلوا المذكر أصلاً والمؤنث فرعاً ، والمفرد أصلاً والمثنى أو المجموع فرعاً ، والسكون أصلاً والحركات فرعاً ، والإعراب أصلاً والبناء فرعاً ، والحركات أصلاً للإعراب والحروف فرعاً له ، والإفراد في الأسماء أصلاً والتركيب فيها فرعاً ، والنكرة أصلاً والمعرفة فرعاً...⁽¹²⁾ .

وقد ذهبوا أبعد من ذلك فشعبوا القضية وأكثروا من تفصيلاتها ومن تجزيئها؛ فراحوا يبحثون عن الأصول في المفردات نفسها، وعن أصول الفروع وفروع الأصول . فبحثوا عن الأصل في نعم وبئس وحبذا وهو : نَعَمْ وبَيْسٌ وَحُبٌّ ، ورأوا أنّ الأصل في الجموع كلّها هو الجمع السالم ؛ والأصل في الجمع السالم أن يكون للأعلام العاقلة . وأقروا أنّ الأصل في التثنية هو العطف ، وفي البناء هو السكون . وأقروا أنّ العجمة فرع على العربية ، وأنّ الممنوع من الصّرف فرع على المنصرف...الخ⁽¹³⁾ .

إن مصطلح الأصل والفرع من أهم المصطلحات التي عبّر فيها القدماء عما يقابل البنيتين : العميقة والسطحية ؛ يقول سيبويه (ت 180هـ) : ((أعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك ، ويحذفون ويعوضون ، ويستغنون بالشئ عن الشئ الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً))⁽¹⁴⁾ . ويقول المبرّد (ت 185هـ) عن باب (قضايا) : ((ولو اضطر شاعر لردّه إلى أصله ؛ كردّ جميع الأشياء إلى أصولها))⁽¹⁵⁾ .

ولمّا أصّل النحاة العرب القدامى أن لا معمول بلا عامل ، وأن الآثار الإعرابية في الفعل المضارع والأسماء المعربة أمارات على العوامل ، اضطروا إلى تقدير العامل . والأصل في العمل الفعل ، لذا قالوا : إن الأصل في قام زيد وعمرو : قام زيد وقام عمرو ، فحذفت قام الثانية لدلالة الأولى عليها ، وصار الفعل الأول عاملاً في المعولين المعطوف والمعطوف عليه⁽¹⁶⁾ .

(5) الحدود في النحو / 42 .

(6) حاشية الخصري على شرح ابن عقيل : 2 / 42 .

(7) ينظر : الأصول / 115 ، وعلم الوضع / 14 ، والقاعدة النحوية تحليل ونقد / 43 .

(8) ينظر : الأصل والفرع في شرح الرضي على كافية ابن الحاجب / 8 .

(9) الحدود في النحو / 42 .

(10) معجم المصطلحات النحوية والصرفية / 170 .

(11) ينظر : التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث / 16 ، وملاحح التوليد في التراث اللغوي (بحث) / 110 ، ودراسات في ظواهر نحوية / 35 - 37 .

(12) ينظر : الخصائص : 2 / 30 - 34 ، والإيضاح في علل النحو / 56 - 63 ، واللباب في علل البناء والإعراب : 471/1 .

(13) ينظر : اللباب : 1 / 66 ، 96 ، 112 ، 188 ، 500 ، 505 .

(14) الكتاب : 1 / 24 - 25 .

(15) المقتضب : 1 / 139 .

(16) ينظر : شرح المفصل : 3 / 75 .

ومما يشهد على تحوّل الأصل (البنية العميقة) Deep structure إلى فرع (بنية سطحية) Surface structure عند النحاة العرب القدامى ، ما يراه عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) من أن التمييز يكون محوّلًا عن الفاعل ، كما في قوله تعالى: { **وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** } (مريم 4) ، إذ إن الأصل : واشتعل شيب الرأس ⁽¹⁷⁾ ، وفي قولنا : طبنا أنفساً ، وقررنا أعيناً ؛ يقول الجرجاني : « اعلم إن الأصل : طبابت أنفسنا ، وقرّرت أعيننا ، ثم جعل الفعل لما يلتبس به الفاعل وهو المضاف إليه فقيل : طبنا وقررنا ، فوجب أن يُبين ، فنُصِبَ الذي كان فاعلاً فقيل : طبنا أنفساً ، وقررنا أعيناً » ⁽¹⁸⁾ .

ومثل ذلك قوله تعالى : { **وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا** } (القمر 12) ؛ إذ الأصل : وفجّرنا عيون الأرض ؛ إذ « التفجير للعيون في المعنى ، وأوقع على الأرض في اللفظ ، كما أسند هناك الاشتغال إلى الرأس » ⁽¹⁹⁾ . فعبد القاهر كان ينظم الكلام استناداً إلى حجج نحوية محضة ؛ فقد احتج لتقدير المحذوفات مبيناً أن أحد أسباب ذلك يعود إلى الكلام نفسه ، كما في قوله تعالى : { **فَصَبَّرْ جَمِيلًا** } (يوسف 18) ، وقوله : { **مَتَاعٌ قَلِيلٌ** } (آل عمران 19) . فيرى أنه لا بدّ من تقدير محذوف ؛ لأن الاسم وحده لا يفيد ، والصفة والموصوف حكمهما حكم الاسم الواحد ، فلا بدّ - إذن - من تقدير مبتدأ في هذا الموضع ⁽²⁰⁾ ، فالاستدلال على البنية العميقة هنا تمّ بكون البنية السطحية تحتوي على عنصر واحد لا يمكن أن يكون وحده جملة مفيدة .

في حين أننا نجد بعض المحذوفات التي لا يعتمد تقديرها على أساس نحوي تقتضيه الصناعة ، بل أن يقتضى التقدير لأسباب أو مسوّغات بلاغية ، كما في تقدير كلمة (أهل) قبل (القرية) في قوله تعالى : { **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** } (يوسف 82) . وسوّغ عبد القاهر هذا التقدير بأمر يرجع إلى غرض المتكلم ؛ إذ الغرض : واسأل أهل القرية ، فليس الحذف هنا راجعاً إلى ذات التركيب اللغوي ؛ وذلك أن مثل هذه العبارة لا تحتمل الحذف لو نطق بها رجل مرّ بقرية قد باد أهلها فأراد أن يقول لصاحبه واعظاً مذكراً ، أو أن يخاطب نفسه معتبراً : سلّ القرية عن أهلها ، لذلك يمتنع حمل الكلام على ظاهره في هذا الموضع ⁽²¹⁾ ، ويستدلّ على الأصل (البنية العميقة) بمعرفة غرض المتكلم .

وقد عبّر (د. محمد عبد المطلب) مقارنة بين فكر عبد القاهر وجومسكي قائلاً : « إن المنهج العقلي هو الذي سيطر على فكر عبد القاهر ثم جومسكي ، فقادهما إلى اعتماد النحو التقعيدي أساساً لإدراك القيمة الحقيقية للصياغة وما يمكن أن يتجه هذا النحو من إمكانات تركيبية تقترب من الإنسان ومقاصده الواعية » ⁽²²⁾ . أما (د. عباس رشيد الددة) فرأيه : « أن الإدراك العقلي الممثل للمستوى العميق عند الجرجاني لا يختلف كثيراً عن مستوى البنية العميقة عند جومسكي » ⁽²³⁾ . فيرى أن الجرجاني قد قال بوجود مستويين للغة : المستوى المثالي ، ومستوى المزية التي هي نتاج طبيعي لعملية تحول المستوى المثالي إلى واقع لغوي ، وهذا ما يراه د. الددة قريباً من إدراك جومسكي لمستويين في اللغة : مستوى البنية العميقة التي هي بنية مثالية ، ومستوى البنية السطحية التي تتجاوز البنية العميقة بما يتحقق في الأولى من انزياح ⁽²⁴⁾ .

ويشرح ابن يعيش (ت 643هـ) مسألة تحويل التمييز سواء أكان تمييز مفرد أم تمييز نسبة شرحاً يُظهر فيه وضوح فكرة (الأصل) وتحويل هذا الأصل إلى السطح المنطوق فيقول : « وإذا قلت : عندي عسل رطلٌ ، وخلٌ راقودٌ فقد أتيت به على

⁽¹⁷⁾ ينظر : دلائل الإعجاز / 100 - 101 .

⁽¹⁸⁾ المقتصد في شرح الإيضاح : 2 / 696 ، وينظر : دلائل الإعجاز / 100 .

⁽¹⁹⁾ دلائل الإعجاز / 102 .

⁽²⁰⁾ ينظر : أسرار البلاغة في علم البيان / 367 ، و ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي / 22 ، 23 .

⁽²¹⁾ ينظر : أسرار البلاغة / 367 ، وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي / 22 ، 23 ، ومفهوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي / 21 .

⁽²²⁾ فضايح الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني / 75 . وينظر : الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني / 129 - 130 .

⁽²³⁾ الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب / 255 .

⁽²⁴⁾ ينظر : الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب / 255 .

الأصل . وإذا قَدِّمْتُ وقلت : عندي رطلٌ عسلًا ، وراقودٌ خلًا فقد غَيَّرْتُهُما عن أصلهما لما ذكرناه من إرادة المبالغة والتأكيد في الإخبار عن مقدار ذلك النوع (((25) . إنَّ النص السابق يكشف لنا أنَّ هذه الأصول المقدَّرة قد يعدل عنها لغرض من الأغراض كالمبالغة والتأكيد كما في نص ابن يعيش ، أو الاستخفاف كما في قول سيبويه (ت180 هـ) : ((وذلك قولك امتلأْتُ ماءً وتفقَّأْتُ شحمًا ... وإنما أصله امتلأْتُ من الماء ، وتفقَّأْتُ من الشحم ، فحُذِفَ هذا استخفافاً)) (26) ، وقد يكون لأغراض أخرى مثل كثرة الاستعمال أو الإلف أو غير ذلك .

إنَّ كل غرض من هذه الأغراض هو معنى يضاف إلى معنى الجملة الأصلي المعدول عنها أو الجملة المحوَّلة ، وهذا يعني أنَّ الجملة الأصل هي التي عليها كلُّ الاعتماد في إمداد الجملة بالمعنى ، وهذا ما قال به جومسكي عندما أكد أن مهمة التفسير الدلالي هي مسؤولية البنية العميقة Deep structure ، ثم عدل عن ذلك فيما بعد فأشرك البنية السطحية Surface structure مع البنية العميقة في إمداد الجملة بالمعنى ، هذا قبل أن يقول بالاعتماد الكلي على البنية السطحية في التفسير الدلالي للجملة (27) .

ومما تشير إليه نصوص القدماء تعدد افتراضهم في الجملة التي تعدَّ أصلاً ، كما في جملة (تفقأ زيدٌ شحمًا) فيقدر سيبويه لها أصلاً هو : تفقأ زيدٌ من الشحم ، في حين يرى الزمخشري وابن يعيش أن الأصل فيها هو : (تفقأ شحمٌ زيدٌ) (28) . وهذا التعدد في التقدير والافتراض لا ترفضه النظرية التوليدية التحويلية Transformational generative theory الحديثة ، بل تراه مقبولاً سائغاً شريطة أن يوضح المفسر كيف تتحوَّل (البنية العميقة) إلى بنية ظاهرة على السطح وهذا ما نلمسه عند النحويين القدماء عندما نرى النحوي يشرح لنا كيفية انتقال الجملة من التركيب المفترض إلى التركيب المنطوق (29) ، ويظهر ذلك جلياً في نصوصهم ، يقول الصبان : ((جملة (من قام ؟) اسمية في الصورة ، فعلية في الحقيقة . وبيان ذلك أن قولك : (من قام ؟) أصله : (أقامَ زيدٌ أم عمرو أم خالدٌ) إلى غير ذلك . لا (أزيدُ قامَ أم عمرو أم خالدٌ) ؛ لأن الاستفهام بالفعل أولى . لكونه متغيراً فيقع فيه الإبهام . ولما أريد الاختصار وضعت كلمة (مَنْ) ... وبهذا التضمن وجب تقديمها على الفعل فصارت الجملة اسمية في الصورة لعروض تقدم ما يدل على الذات ، فعلية في الحقيقة)) (30) .

إن النص السابق يبين لنا أن هناك بنيتين للجملة ؛ الأولى عبَّرَ عنها بالصورة ، والثانية عبَّرَ عنها بالحقيقة ، وهو يقصد بهما الجملة الأصلية والجملة المتفرعة عنها . ويشير هذا النص أيضاً إلى وجود قوانين معينة حكمت عملية التحول من الحقيقة (العمق) إلى الصورة (السطح) ، كالآتي (31) :

- 1- أقامَ زيدٌ أم عمرو أم خالدٌ بتطبيق قانون التعويض replacement أقامَ مَنْ .
- 2- أقامَ مَنْ بتطبيق قانون الإضافة أو التضمن addition مَنْ + همزة الاستفهام .

(25) شرح المفصل : 2 / 75 .

(26) الكتاب : 1 / 204 . 205 .

(27) ينظر : من الأنماط التحويلية في النحو العربي / 29 .

(28) ينظر : شرح المفصل : 2 / 75 ، ومن الأنماط التحويلية في النحو العربي / 27 . 29 .

(29) ينظر : من الأنماط التحويلية في النحو العربي / 29 . 30 .

(30) حاشية الصبان على شرح الأشموني : 1 / 188 .

(31) ينظر : من الأنماط التحويلية في النحو العربي / 32 .

3- قام مَنْ بتطبيق قانون التقديم أو التبادل permutation مَنْ قام ؟

وهذا شبيه بما تسميه النظرية التوليدية التحويلية بـ (القوانين التحويلية) Transformational Rules . فهذه القوانين نلاحظها في النحو العربي كقوانين : الحذف والإضافة أو الزيادة أو الإقحام ، وإعادة الترتيب ، والاستبدال ، والعامل ... وسواها . وهذا ما تحدث عنه ابن جني (ت392هـ) في باب اسماء (باب في شجاعة العربية) الذي يكاد يدور في فلكه مفهوم الجملة الأصلية والجملة الفرعية المتحولة عنها ⁽³²⁾ ، فيتحدث عن عملية التحويل هذه فيقول : « اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف ، والزيادة ، والتقديم ، والتأخير ، والحمل على المعنى ، والتحريف » ⁽³³⁾ .

فضلاً عن أنها تقترب في مفهومها مما يسميه عبد القاهر بـ (الخيارات النظامية) التي تتفرع من أصل واحد وتكون متاحة للمبدع في اختيار ما يلائم مقصده ، فكل منها يختلف عن غيره بظل من المعنى ⁽³⁴⁾ . فالنحو العربي - إذن - قائم على اعتبار تقدير أصل للكلام وتحويل ذلك الأصل إلى فرع ، بواسطة قواعد معينة تحكم ذلك التحويل . حتى إن معظم خلاقات النحويين كانت حول تقدير (أصل) أو حول قوانين تحويل ذلك الأصل المقدر إلى فرع مظهر . كما في الاسم المنادى سواء أكان منصوباً أم مبنياً في محل نصب ، يجعله النحاة منصوباً بعامل محذوف تقديره أَدْعُوْا أو أَنَادِيْ ؛ فأصل « (يازيد) عند سيبويه (أَدْعُوْ زَيْدًا) » فحذف الفعل حذفاً لازماً لكثرة الاستعمال ولدلالة حرف النداء عليه ، وإفادته فائدة . فالمنادى على رأي سيبويه جملة فعلية لم يذكر فيها الفعل ولم يذكر فيها الفاعل أيضاً ، وقد بقي المفعول منها فقط وهو المنادى ، ولذلك يكون المنادى منصوباً أو في محل نصب بناءً على هذا التفسير .

وأجاز المبرّد نصبه بحرف النداء لسدّه مسدّ الفعل ، فعلى المذهبين (يازيد) جملة ، وليس المنادى أحد جزأها ، فعند سيبويه جزأها أي الفعل والفاعل مقدّران وعند المبرّد : سدّ حرف النداء مسدّ أحد جزأي الجملة أي الفعل ، والفاعل مقدّر ، والمفعول هاهنا على المذهبين واجب الذكر لفظاً أو تقديرًا إذ لا نداء بدون المنادى ⁽³⁵⁾ . من النصّ السابق نلاحظ اختلاف سيبويه والمبرّد في قوانين التحويل Transformational Rules ؛ فسيبويه يستعمل قانون الحذف ، في حين يستعمل المبرّد قانون التعويض ، إن ساغ لنا التقريب . على أنّ الاثنين متفقان على أن أسلوب النداء هو فرع لتكوين آخر (أصل) هو : أَدْعُوْ زَيْدًا . وهذا يشير إلى تعامل النحويين العرب مع فكرة الأصل أو (البنية العميقة) Deep structure التي تتحول إلى فرع أو (بنية سطحية) Surface structure ، ومهما اختلف التفسير فإن التركيب واحد . وبعد معالجة بعض نصوص النحويين العرب الأقدمين يمكننا القول : إنّ التقدير والتأويل من أبرز ملامح التفكير النحوي العربي القديم التي تقترب كثيراً من النظرية التوليدية التحويلية Transformational generative theory ؛ فكان أولئك النحاة لا يكتفون بالوقوف عند التركيب المفوظ أو المكتوب ، وإنما كانوا يبحثون عما وراءه من كلمات افترضوها قائمة في ذهن المتكلم وإن لم يلفظها ، أو لم تبرز على سطح اللغة ⁽³⁶⁾ . ويرجع ابن جني (ت392هـ) أسباب رفض هذه الأصول وتقديرها إلى ما يأتي ⁽³⁷⁾ :

1- إن من الأصول ما لا يمكن النطق به أصلاً ، نحو : ما اجتمع فيه ساكنان كسماء وقضاء ومبيع ؛ إذ الأصل : سماءً ، وقضاءً ، ومبيئوع .

⁽³²⁾ ينظر : الخصائص : 2 / 360 .

⁽³³⁾ م . ن . : 2 / 360 .

⁽³⁴⁾ ينظر : مفهوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي (بحث) / 27 .

⁽³⁵⁾ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : 3 / 141 .

⁽³⁶⁾ ينظر : دراسات في اللسانيات العربية المشاكلة - التنعيم - رؤى تحليلية / 154 ، وملامح النظرية التحويلية في الدراسات البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (رسالة) / 12 .

⁽³⁷⁾ ينظر : الخصائص : 1 / 261 . 264 ، والقواعد الكلية والأصول العامة للنحو العربي / 162 . 163 .

- 2- من الأصول ما يمكن النطق به ، لكنه قَدَر لنقله ؛ فالأصل في لَحَتْ عينه ، وأَل السقاء هو : لَحَتْ عينه ، وأَل السقاء ، وفي موسر ، وموقن هو : ميسر وميقن ، وفي ميزان ، وميعاد هو : مؤزان ، وموعد .
- 3- من الأصول ما يمكن النطق به بغير ثقل ، ولكنه رفض للتعويض عنه ، أو لأن الصنعة أدت إلى رفضه وتقديره ، كإضمار (أن) مع الفعل ، وما حذف من الأفعال وأُنيب عنه غيره من المصادر .

إنّ هذه الأصول التي افترضها أو قَدَرها النحاة القدامى تقابل بخطوطها المفهومية العريضة مفهوم البنية العميقة من وجهة النظر التوليدية التحويلية Transformational generative theory الحديثة ، وهي أصول لا تظهر على السطح وإن ظهرت فظهورها دليل على صحة تقديرها ؛ لأن الشيء إذا قُدِّر صار مفترض الوجود . بقي لنا أن نشير إلى أن العربية واحدة من اللغات التي نحت منحى التوليد Generation و التحويل Transformation منذ قرون مضت . ويبدو ذلك جلياً واضحاً في إلحاحهم على مصطلحات يفهم منها غزارة المادة ، والتوليد غير المتناهي للتركيب والمفردات على حدّ سواء ، وتتابعها ، وثنائها ؛ مع محافظتهم على المعنى سليماً وملائماً للفظ . وأهم هذه المصطلحات: سعة كلام العرب، والارتجال، والقياس، وحدود اللغة، والنحو، والاستنباط، والعناية بالألفاظ والمعاني ... إلخ .

ولو رجعنا إلى التراث لرأينا أنّ فكرة التوليد Generation لم تكن غائبة عن ذهن علماء العربية القدامى ، فأغلب هؤلاء العلماء يُقرّون تصريحاً أو تلميحاً بأنّ هذه اللغة مبنية على الاتساع والتعدد والارتجال والاستنباط ... وغير ذلك من المصطلحات التي تدلّ على توليد جمل لا حصر لها من المفردات غير المتناهية وهذه المفردات متولدة بدورها عن حروف الهجاء العربية . وهذه الأنواع ماثلة في تراثنا اللغوي تحت مسميات ومصطلحات مختلفة في ألفاظها واحدة في معناها . وإذا كان القدماء لم يسموها كما يسمونها اليوم علم اللغة الحديث فإنهم قصدوها في كتاباتهم، وأقاموا عليها لغتهم، وحافظوا من خلالها على استمرارهم (38) .

وعلى أية حال نجد النظرية التوليدية التحويلية ممثلة بكتابات جومسكي Chomsky تتشابه مع الدرس النحوي العربي في سمات وتختلف معه في سمات أخرى . فمن أوجه تشابه منهج النحاة العرب بالنظرية الحديثة : البحث عما يسمى بـ (الأصل والفرع) للظاهرة اللغوية ، وما أُلغ به النحاة العرب من التعليل ، والتقدير والتأويل (39) .

وبرى الدكتور مرتضى جواد باقر أنّ كتابات جومسكي تتوافق مع الدرس النحوي العربي في سمتين أساسيتين للبناء النحوي ؛ « فكلهما يفترض مستويين للبنية النحوية للجمل وكلاهما يؤسس هذا الافتراض على حجج نحوية مستمدة من الحدود والبنوية على التركيب الجملي وعلى الافتراضات النظرية التي وضعت لتفسير الظاهرة النحوية » (40) . أما الخلاف بينهما فهو في الرؤية إلى النحو ؛ فجومسكي يرى النحو من منظار رياضي ويعتمد في افتراضاته أدوات رياضية ، وهذا ما لا نألفه في الدرس النحوي العربي (41) . وكذلك اختلاف الهدف ، وهو ما أكدّه (د. محمد عبد المطلب) قائلاً : « وإذا كانت حركة جومسكي استهدفت الوصول إلى (الكليات اللغوية) فإن حركة عبد القاهر استهدفت البحث عن النظام الذي يتجسد في الظاهرة اللغوية ، والكشف عن هذا أو عن هذا (النظم) يعني الكشف عن البنية الحقيقية » (42) . وهذا الاقتراب أو التشابه بين الفكرين : العربي القديم والغربي الحديث ، لا يشترط أن يكون راجعاً إلى التقليد المحض أو الأخذ المباشر للحديث من القديم ، وإنما قد

(38) ينظر : دراسات وتعليقات في اللغة / 189 - 190 .

(39) ينظر : ملامح النظرية التحويلية عند عبد القاهر الجرجاني (رسالة) / 51 .

(40) مفهوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي / 32 .

(41) ينظر : م . ن . / 32 - 33 .

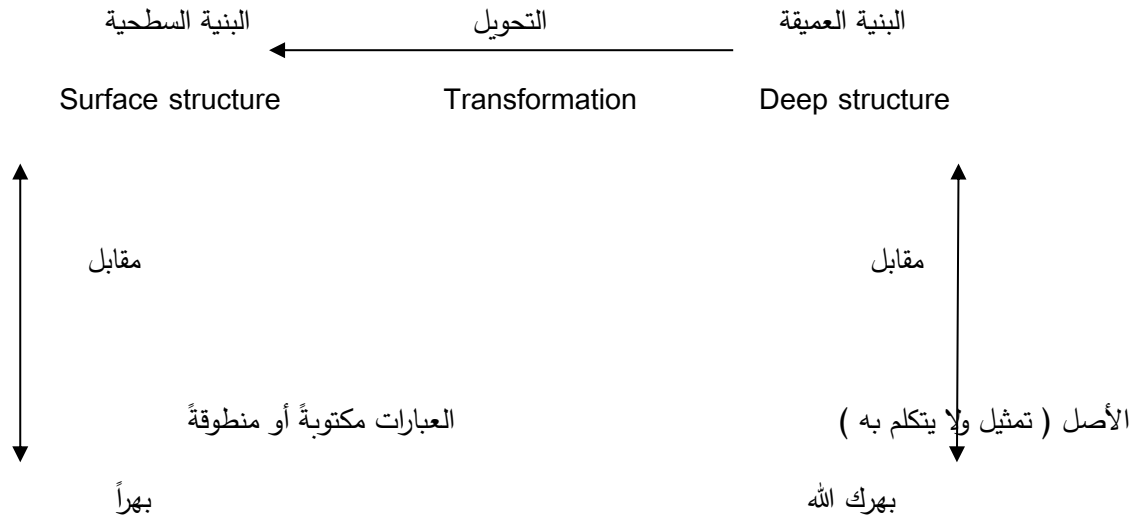
(42) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني / 84 .

يكون ((مجرد اتفاق مبعثه النظر الصحيح))⁽⁴³⁾ في القضايا والأمور التي تعدّ بمنزلة الأصل المشترك ، أو لنقل المشترك الإنساني .

ثانياً : التسميات التي عبّر بها القدماء عن الأصل .

توصلنا فيما سبق ذكره إلى أنّ مقولة (الأصل والفرع) هي أقرب المقولات التي طرحها الأقدمون من نحائنا إلى مقولة (البنية العميقة والسطحية) في النحو التوليدي التحويلي ؛ لذا وجدنا أن نتابع التسميات التي طرحها الأقدمون للتعبير عن فكرة الأصل من قبيل (العبارات الاصطلاحية) الآتية :

1- تمثيل ولا يتكلم به : استعملها سيبويه (ت180هـ) في مواضع⁽⁴⁴⁾ متفرقة من كتابه إشارة منه إلى الأصول النحوية لبعض التراكيب . ففي حديثه عن المصادر المنصوبة على إضمار فعل مثل : بهراً ، يقول : ((وما جاء منه لا يظهر له فعل فهو على المثال نصب ، كأنك جعلت بهراً بدلاً من بهرك الله ، فهذا تمثيل ولا يتكلم به))⁽⁴⁵⁾ . ويمكن التعبير عن كلامه بالرسم الآتي بيانه⁽⁴⁶⁾ :



وهنا تتضح الصلة بين المفاهيم التي طرحها سيبويه والتحويليون ؛ إذ قصد سيبويه بيان المراد من العبارات الظاهرية المنطوقة وهي التراكيب الصحيحة نحويًا ، والأمر نفسه بالنسبة للتحويليين ، فالطرفان - إذن - يفترضان ويقدران أصلاً مفترضاً لا وجود له ظاهراً ؛ لأنه غير منطوق به أصلاً ، لكنه هو المعنى الأصلي المقصود ؛ إذ إن دلالة السياق قد تدفع المتكلم أحياناً إلى الاختصار والحذف لبعض عناصر الجملة أو الكلام اكتفاءً ببعضها الآخر ، فضلاً عن أن سمة الإيجاز التي تتسم بها العربية تجعل الحذف وارداً فيها بكثرة ؛ وذلك لأن العرب أميل إلى الإيجاز وأبعد عن الإطالة في غير موضعها ، فإذا قلنا : هل عندك أحد ؟ أغنانا ذلك عن أن نقول : هل عندك زيدٌ ، أو عمرو ، أو جعفر ... فيطول الكلام⁽⁴⁷⁾ .

⁽⁴³⁾ من الأنماط التحويلية في النحو العربي / 39 (الهامش) .

⁽⁴⁴⁾ ينظر : التراكيب غير الصحيحة نحويًا في (الكتاب) لسبويه / 157 .

⁽⁴⁵⁾ الكتاب : 1 / 312 .

⁽⁴⁶⁾ ينظر : التراكيب غير الصحيحة نحويًا في (الكتاب) لسبويه / 158 .

⁽⁴⁷⁾ ينظر : الخصائص : 1 / 82 .

وهذا يدلّ على أن سيبويه يعدّ الحذف عارضاً يعرض في الكلام ، وأن الأصل أن يرد الكلام بغير حذف ، وهذا يستدعي تقديراً أو افتراض أصل للكلام المحذوف ، وهو ما نراه موجوداً عند النحاة جميعاً ، وشبيه بما يقرره التوليدون التحويليون من وجود بنية عميقة Deep structure ترتبط بالمعنى ⁽⁴⁸⁾ ، فيكون هناك مستويان للكلام أحدهما منطوق به ، والآخر مقدّر .

2- القياس المتروك : قال أبو علي الفارسي (ت 377 هـ) : « وربما جاء في الشعر ثلاث مئات وأربع مئين ونحوها مضافاً إلى الجمع على القياس المتروك » ⁽⁴⁹⁾ .

3- القياس المرفوض : قال ابن يعيش (ت 643 هـ) : « وقد شدّت ألفاظ فجاءت على القياس المرفوض ، قالوا : أقوس وأعين وأنيب ، جاءوا على (أفعل) منبهة على أنه الأصل » ⁽⁵⁰⁾ .

4- الأصل المتروك : ذكر أبو البركات الأنباري (ت 577 هـ) في حديثه عن أصل خبر (عسى) : « أنهم رجعوا إلى الأصل المتروك فقالوا : (عسى الغوير أبؤسا) فنصبوا بعسى » ⁽⁵¹⁾ .

5- الأصل المرفوض : عقد له أبو علي الفارسي مسألة (الردّ إلى الأصل المرفوض في الضرورة الشعرية) ⁽⁵²⁾ . ويقول ابن جني (ت 392 هـ) عن كلام العرب : « وفي كلامهم من الأصول المرفوضة ما لا يحصى كثرة » ⁽⁵³⁾ .

6- الأصل المقدّر : ورد في قول ابن جني : « لا يُنكر أن يكون في كلامهم أصول غير ملفوظ بها - إلا أنها مع ذلك مقدّرة - وهذا واسع في كلامهم كثير » ⁽⁵⁴⁾ .

7- الإجراء على الأصل : ذكر سيبويه (ت 180 هـ) هذا التعبير عند كلامه على إظهار الإدغام فقال : « واعلم أن الشعراء إذا اضطروا إلى ما يجتمع أهل الحجاز وغيرهم على إدغامه أجروه على الأصل » ⁽⁵⁵⁾ ، وذكر قول الشاعر ⁽⁵⁶⁾ :

مَهْلًا أَعَايِلَ قَدْ جَزَبْتَ مِنْ خُلُقِي أَنِّي أَجُودُ لَأَقْوَامٍ وَإِنْ صَنِينُوا

8- بلوغ الأصل : يقول سيبويه : « وقد يبلغون بالمعتل الأصل ، فيقولون : رادِد في رادِّ ، وصَنِينُوا في صَنَوَا ، ومررتم بجواري قبل » ⁽⁵⁷⁾ .

9- الخروج على الأصل : ذكر سيبويه هذا التعبير أيضاً بعد أن أورد قول الهذلي :

أَبَيْتُ عَلَى مَعَارِيٍ وَاضِحَاتٍ بِهِنَّ مَلُوبٌ كَدَمُ الْعِبَاطِ

وقول الفرزدق :

⁽⁴⁸⁾ ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي / 19 .

⁽⁴⁹⁾ المقتصد في شرح الإيضاح : 2 / 732 .

⁽⁵⁰⁾ شرح المفصل : 5 / 34 .

⁽⁵¹⁾ أسرار العربية / 127 .

⁽⁵²⁾ المسائل العضديات / 33 . 37 .

⁽⁵³⁾ المنصف لكتاب التصريف : 2 / 324 .

⁽⁵⁴⁾ م . ن . : 1 / 348 .

⁽⁵⁵⁾ الكتاب : 3 / 335 .

⁽⁵⁶⁾ م . ن .

⁽⁵⁷⁾ الكتاب : 1 / 29 .

فلو كان عبد الله مؤلى هجوته ولكن عبد الله مؤلى مواليا

فقال : ((فلما اضطروا إلى ذلك في موضع لابد لهم فيه من الحركة أخرجوه على الأصل)) (58) .

10- الرجوع إلى الأصل : وهو مصطلح آخر يعبر عن استعمال (الأصل) في الكتاب وذلك إذا ناديت الاسم المركب نحو : يا ضارباً رجلاً ، وكان يعرفه ، فإن سبب لزوم التتوين له مع أنه معرفة عند سيبويه هو : ((لأن الباء ليست منتهى الاسم ، وإنما يحذف التتوين في النداء من آخر الاسم ، فلما لزم التتوين وطال الكلام رجع إلى أصله)) (59) .

11- الرد إلى الأصل : ورد هذا المصطلح كثيراً في (الكتاب) ، ومن أمثلة ذلك حديثه عن نصب (زيداً) في قولهم في النداء : يا أخانا زيداً ، فهذا عنده كثير في كلام العرب ((لأنهم يردونه إلى الأصل حيث أزالوه عن الموضع الذي يكون فيه منادى)) (60) . وقد وضع باباً بعنوان (باب ما ترده علامة الإضمار إلى أصله) (61) ذكر فيه ما يرده الضمير إلى الأصل .

12- المجيء على الأصل : ورد هذا التعبير لدى سيبويه معبراً عن الأصل ، عند تعليقه على بيت الشاعر :

قَدْ عَجِبْتُ مِي وَمِنْ يُعْلِيَا لَمَّا رَأَيْتُنِي خَلِقاً مُقْلُولِيَا

((فجاء به على الأصل)) (62) . وفي حديثه عن (باب ما جاء في أسماء هذا المعتل على ثلاثة أحرف لا زيادة فيه) يقول سيبويه : ((وربما جاء على الأصل كما يجيء (فَعَلٌ) من المضاعف على الأصل إذا كان اسماً وذلك قولهم : القود ، والحوكة ...)) (63) .

ثالثاً : آراء و مواقف من أصل التقدير

تباينت آراء اللغويين (64) - قداماء ومحدثين - ومواقفهم في أصل التقدير الذي قال به النحاة القدامى ، ما بين معارض لذلك التقدير ، ومؤيد له . فلم يرتض ابن مضاء القرطبي (ت592 هـ) مقولات النحويين القدامى الذين قالوا بالتقدير فرأى أن من الواجب على النحويين إلغاء التقدير ، وإلغاء نظرية العامل معه ؛ لأنها هي التي تمدنا بمثل هذا التقدير الواهم (65) . فدعا إلى إلغاء نظرية العامل لأن العوامل النحوية لم ((يقل بعملها عاقل ، لا ألفاظها ولا معانيها ؛ لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع)) (66) . ورفض تقدير المحذوف الذي لا حاجة بالقول إليه بل هو تام دونه وإن ظهر كان عيباً (67) . ورأى ابن مضاء أن التقدير زيادة ، و((ادعاء الزيادة في كلام المتكلمين من غير دليل يدل عليها خطأ بين)) (68) ، واعترض على تقدير الضمائر المستترة ؛ لأنها غير موجودة (69) . غير أن ابن مضاء لم يقدم بديلاً عملياً مقنعاً لتفسير ظاهرة التصرف الإعرابي ((فالقول بأن الفاعل

(58) م . ن . : 3 / 313 .

(59) م . ن . : 2 / 229 .

(60) م . ن . : 2 / 185 .

(61) الكتاب : 2 / 376 .

(62) م . ن . : 3 / 315 .

(63) م . ن . : 4 / 358 .

(64) ينظر : الحذف والتقدير في النحو العربي / 199 وما بعدها .

(65) ينظر : الرد على النحاة / 29 .

(66) م . ن . : 78 / .

(67) ينظر : م . ن . : 79 ، 87 .

(68) م . ن . : 81 / .

(69) م . ن . : 93 / .

مرفوع بعد الفعل ، وصف لا يزيد عن قول طفل بأن التفاحة سقطت من الشجرة على الأرض ، أما تعليل الرفع بالعامل فهو كتعليل سقوط التفاحة بالجاذبية (((70) .

أما علماء اللغة المحدثون فمنهم من أيد ابن مضاء في مذهبه هذا ومنهم من خالفه فيه ؛ فأما المؤيدون فهم أنصار المنهج الوصفي Descriptive theory في اللغة الذي تبناه كثير من اللغويين العرب ، ويبدو أن حماسهم لهذا المنهج جاء رد فعل على المنهج الفلسفي Logical theory الذي ساد النحو العربي ، فدعا هؤلاء إلى مجرد الوصف للغة وقضاياها وتجنب ما ذهب إليه النحويون القدماء من تعليلات شخصية وفروض . فتصنيف اللغة عندهم - الوصفيين - في كل مستوياتها لا يخضع لجوانب عقلية تحكمية أو أفكار متأثرة بعلوم فلسفية أو نفسية ، فهم يرفضون التقدير وينتقدون مفترضيه (71) . ولا يعترفون بوجود التقدير ؛ لأن وظيفة هذا المنهج - الوصفي - لا تعدو تسجيل الواقع اللغوي كما هو ، فلا حاجة - إذن - للتأويل والتعليل وافترض الحذف أو تقدير العوض ؛ لأنه يدرس اللغة دراسة وصفية كما هي (72) .

ومن هؤلاء اللغويين (د. أنيس فريحة) (73) و (د. إبراهيم أنيس) (74) و (د. إبراهيم السامرائي) (75) و (د. تمام حسان) (76) و (د. عبد الرحمن أيوب) (77) والأستاذ (إبراهيم مصطفى) (78) والأستاذ (عبد المجيد عابدين) (79) و (د. شوقي ضيف) (80) و (د. مهدي المخزومي) (81) وسواهم (82) . وبالمقابل سار بعض علماء اللغة المحدثين على طريق النحاة القدماء التعليلي (83) في التحليل اللغوي ، فأيدوهم في كل ما ذهبوا إليه من التقدير والتأويل والتعليل ونظرية العامل وغير ذلك . ويرى هؤلاء وجوب تفسير كثير من الظواهر اللغوية كما فسرها القدماء ، وعدم الاكتفاء بالوصف التقريري الذي يعجز عن تقديم التفسير المقنع في أحيان كثيرة ؛ إذ إن ((المنهج الوصفي التقريري ليس المنهج الأمثل في اللغة ، وأن قدماء اللغويين العرب لم يجانبوا الصواب في كثير مما اعتبره الوصفيون المحدثون انحرافاً عن المنهج اللغوي السليم)) (84) . كما أن دراسة اللغة لا ينبغي أن تتوقف عند الوصف ؛ لأن اللغة - عندهم - من أهم الجوانب الحيوية في النشاط الإنساني ، ولا يعقل أن تكون لها هذه الأهمية ثم تتحول إلى مجرد تراكيب شكلية يسعى الوصفيون إلى تجريدها من المعنى والعقل في هذا الوصف السطحي الذي قدره (85) . ولعل من أبرز المؤيدين المحدثين للتقدير النحوي الأستاذ (علي النجدي ناصف) (86) و (د. داود عبده) (87) .

(70) نظرية الأصل والفرع في النحو العربي / 123 .

(71) ينظر : إحياء النحو / 34 .

(72) ينظر : الكتاب بين المعيارية والوصفية / 15 .

(73) ينظر : نظريات في اللغة / 114 ، 143 .

(74) ينظر : من أسرار اللغة / 59 .

(75) ينظر : النحو العربي نقد وبناء / 8 ، 94 ، 195 . والفعل زمانه وأبنيته / 45 .

(76) ينظر : مناهج البحث في اللغة / 27 ، 231 - 233 .

(77) ينظر : دراسات نقدية في النحو العربي / 52 .

(78) ينظر : إحياء النحو / 34 ، 35 ، 195 .

(79) المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية / 111 .

(80) ينظر : تجديد النحو / 23 ، وتيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً / 79 .

(81) في النحو العربي نقد وتوجيه / 208 ، وينظر : في النحو العربي قواعد وتطبيق / 15 ، وقضايا نحوية / 138 .

(82) ينظر : اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ومسألتان في نقد التقدير في الجملة العربية (بحث) ، ومحاولة السنية في الإعلال (بحث) .

(83) ينظر : النزعة المنطقية في النحو العربي .

(84) أبحاث في اللغة العربية / 20 .

(85) ينظر : النحو العربي والدروس الحديث / 112 .

(86) ينظر : من قضايا اللغة والنحو / 88 ، 89 ، 91 - 92 .

(87) ينظر : أبحاث في اللغة العربية / 26 ، والتقدير وظاهر اللفظ (بحث) / 14 .

والتقدير كان أهم المبادئ التي تقوم عليها النظرية التوليدية التحويلية Transformational generative theory التي ترى أنه « لا بد من وجود تركيب أصلي أو صيغة أصلية اعترها الحذف أو الزيادة أو تغيير ترتيب عناصرها ، وهذا الأصل هو ما يسمونه بالبنية العميقة » (88) وهي « تقابل الأصل المقدر عند القدماء » (89) ، وهم يحاولون الوقوف عليها من خلال عناصر البنية السطحية . وقد ربط بعض الباحثين الذين قاموا بدراسات نحوية بين نظرية التقدير في النحو العربي وفكرة (البنية العميقة) و (البنية السطحية) في النظرية التوليدية التحويلية . فرأى هؤلاء أن « فلسفة التقدير في النحو العربي تتشابه في جوهرها مع النظرية التوليدية التحويلية ، فكلتاها تصدر عن أساس عقلي ... والبنية العميقة عند التحويليين هي - غالباً - الأصل المقدر عند النحويين القدماء » (90) . ومن هؤلاء (د. طاهر سليمان حمودة) و (د. عبده الراجحي) (91) و (د. محمد حماسة عبد اللطيف) (92) .

ويتوقع د. حماسة أن هذا التقارب في المصطلحات بين النظرية العربية القديمة ونظرية جومسكي Chomsky الحديثة راجع إلى مفهوم (العالمية) Universal الذي قالت به النظرية الحديثة وذلك بأن تكون النظرية ذات أبعاد واسعة بحيث تستوعب أنحاء مختلفة في لغات متعددة ، والحذف أو التقدير « ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية ... وثبات هذه الظاهرة في العربية ووضوحها يفوق غيرها من اللغات لما جبلت عليه العربية في خصائصها الأصلية من ميل إلى الإيجاز » (93) . أو أن هذا التقارب راجع إلى أن النظرة الحديثة توافق النظرة القديمة في كونها وسيلة للوصف والتحليل والتفسير ، وربما يعود هذا التقارب إلى نوع من التأثير والاهتداء ، وهذا ما صرح به صاحب النظرية نفسه (94) .

وبهذا تكون النظرية التوليدية التحويلية قد أعانت الكثير من تقديرات النحويين القدماء للمحذوفات وساعدت على إسقاط الكثير من الانتقادات التي وجهها ابن مضاء قديماً والوصفيون حديثاً لنظرية التقدير والعامل (95) .

الخاتمة

من القضايا الجوهرية التي يمكن أن نخرج بها في دراستنا هذه ، قضية اشتباه كثير من الباحثين في مسألة وجود بنية عميقة في الدرس اللغوي العربي القديم ، والحقيقة - من خلال ما توصلنا إليه في دراستنا هذه - أن مصطلح (البنية العميقة) لم يستعمل بذاته في التراث اللساني العربي ، بل إن هناك مصطلحات (تقارب) في مفهومها هذا المصطلح تتلخص هذه المصطلحات بمصطلح (الأصل) وما يرادفه مثل : الأصل المرفوض ، والأصل المتروك ، والأصل المقدر ، والقياس المرفوض ، والقياس المتروك ، وتمثيل ولا يتكلم به وسواها . فالنحو العربي - إذن - قائم على أساس تقدير أصل للكلام وتحويل ذلك الأصل إلى فرع ، بوساطة قواعد معينة تحكم ذلك التحويل . وهي فكرة تشابه فكرة البنية العميقة والبنية السطحية ولكنها لا تطابقها تماماً . وهذا ما أكدّه بعض الباحثين العرب المحدثين حينما قاموا بدراسات نحوية ، بين نظرية التقدير في

(88) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي / 16 - 17 .

(89) م . ن . / 265 .

(90) م . ن . / 139 .

(91) ينظر : النحو العربي والدرس الحديث / 143 - 146 .

(92) ينظر : من الأنماط التحويلية في النحو العربي / 9 .

(93) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي / 9 .

(94) ينظر : من الأنماط التحويلية في النحو العربي / 10 ، 11 .

(95) ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي / 114 ، 265 .

النحو العربي وفكرة البنية العميقة والبنية السطحية في النظرية التوليدية التحويلية . فرأى هؤلاء أنّ التقدير عند اللغويين العرب القدامى يتشابه مع فرضية البنية العميقة وأن الأخيرة عند النحويين التوليديين التحويليين هي غالباً الأصل المقدر عند القدماء ، من هؤلاء : عبده الراجحي ، ومحمد حماسة عبد اللطيف ، وظاهر سليمان حمودة وغيرهم . ويمكن أن نعد هذا التشابه أو التقارب في مفهوم البنية العميقة بين العرب القدامى وجومسكي بمنزلة الجذور غير المباشرة للبنية العميقة .

المصادر والمراجع

1. أبحاث في اللغة العربية : د. داود عبده ، مكتبة لبنان - بيروت ، د. ط. / 1973.
2. إحياء النحو : إبراهيم مصطفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، د. ط. / 1959 .
3. أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) تصحيح وتعليق : السيد محمد رشيد رضا ، دار المطبوعات العربية ، د. ط. / د. ت.
4. أسرار العربية : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت 577 هـ) ، تحقيق : محمد بهجة البيطار ، مطبعة الترقى - دمشق / د. ط. / 1957 .
5. الأصل والفرع في شرح الرضي على كافية ابن الحاجب المفهوم - المعايير - الخصائص : منتظر حسن علي ، عالم الكتب الحديث - الأردن ، دار نيبور - العراق ، ط 1 / 2011 .
6. الأصول دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : د. تمام حسان ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، د. ط. / 1988 .
7. الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب : د. عباس رشيد الددة ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، ط 1 / 2009 .
8. الإيضاح في علل النحو : أبو القاسم الزجاجي (ت 337 هـ) ، تحقيق : د. مازن المبارك ، دار النفائس - بيروت ، ط 5 / 1986 .
9. تجديد النحو : د. شوقي ضيف ، دار المعارف - القاهرة ، د. ط. / د. ت.
10. التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث : د. حسام البهنساوي ، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ، ط 1 / 2004 .
11. التراكيب غير الصحيحة نحوياً في (الكتاب) لسيبويه دراسة لغوية : د. محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ، ط 2 / 1988 .
12. التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث : خالد بن سليمان بن مهنا الكندي ، دار المسيرة - الأردن ، ط 2 / 2009 .
13. التقدير وظاهر اللفظ (بحث) : د. داود عبده ، مجلة الفكر العربي - ليبيا ، العددان : (8 ، 9) ، السنة الأولى / 1979 .
14. تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع منهج تجديده : د. شوقي ضيف ، دار المعارف - القاهرة ، ط 2 / د. ت.
15. حاشية الخصري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : الشيخ محمد الدمياطي (ت 1287 هـ) ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر ، ط الأخيرة / 1940 .
16. حاشية الصبان على شرح الأشموني : محمد بن علي الصبان الشافعي (ت 1206 هـ) ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .

17. الحدود في النحو : الرماني (ت 384 هـ) ، ضمن (رسائل في النحو واللغة) ، تحقيق : د. مصطفى جواد ،
ويوسف يعقوب مسكوني ، دار الجمهورية - بغداد / 1969 .
18. الحذف والتقدير في النحو العربي : د. علي أبو المكارم ، دار غريب - القاهرة ، ط1 / 2008 .
19. الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى - بيروت ، ط2 /
د. ت.
20. دراسات في ظواهر نحوية : د. عبد الرحمن فرهود جساس ، ود. أسعد خلف العوادي ، دار الحامد - الأردن ، ط1 /
2010 .
21. دراسات في اللسانيات العربية - المشاكلة - التنعيم - رؤى تحليلية : د. عبد الحميد السيد ، دار الحامد - الأردن ،
ط2 / 2009 .
22. دراسات نقدية في النحو العربي : د. أيوب عبد الرحمن محمد أيوب ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ، د. ط. /
د. ت.
23. الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني : د. تراث حاكم الزيايدي ، دار صفاء - الأردن ، ط1 / 2011 .
24. دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) قراءة وتعليق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي - القاهرة
، د. ط. / د. ت.
25. دراسات وتعليقات في اللغة : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، د. ط. / د. ت.
26. الرد على النحاة : ابن مضاء القرطبي (ت 592 هـ) دار المعارف - القاهرة ، ط2 / د. ت.
27. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى (ت 929 هـ) ، دار إحياء
الكتب العربية - القاهرة.
28. شرح المفصل : ابن يعيش النحوي (ت 643 هـ) ، عالم الكتب - بيروت ، مكتبة المتنبّي - القاهرة ، د. ط. / د.
ت.
29. الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أبو الحسين أحمد بن فارس (ت 395 هـ) ، تحقيق وتقديم :
مصطفى الشويمي ، مؤسسة أ. بدران - بيروت ، د. ط. / 1964 .
30. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : د. طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية - الإسكندرية ، د. ط. / د. ت .
31. علم الوضع دراسة في فلسفة اللغة بين علماء أصول الفقه وعلماء اللغة : د. عبد الرزاق أحمد الحربي ، مركز
البحوث والدراسات الإسلامية - بغداد ، د. ط. / 2006 .
32. الفعل زمانه وأبنيته : د. إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط2 / 1980 .
33. في النحو العربي قواعد وتطبيق : د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي - بيروت ، ط2 / 1986 .
34. في النحو العربي نقد وتوجيه : د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي - بيروت ، ط2 / 1986 .
35. القاعدة النحوية تحليل ونقد : د. محمود حسن الجاسم ، دار الفكر - دمشق ، ط1 / 2007 . قضايا الحداثة عند
عبد القاهر الجرجاني : د. محمد عبد المطلب ، الشركة العالمية للنشر ، لونغمان - القاهرة ، ط1 / 1995م
36. قضايا نحوية : د. مهدي المخزومي ، المجمع الثقافي - أبو ظبي ، ط1 / 2002 .
37. القواعد الكلية والأصول العامة للنحو العربي : د. غريب عبد المجيد نافع ، مكتبة الأزهر - القاهرة ، ط1 / 1975 .
38. الكتاب : سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180 هـ) تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ،
مكتبة الخانجي - مصر ، دار الرفاعي - الرياض ، ط2 / 1982 .

39. الكتاب بين المعيارية والوصفية : د. أحمد سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ، ط1 / 1989 .
40. اللباب في علل البناء والاعراب : أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت 616 هـ) ، تحقيق : غازي مختار طليمات ، دار الفكر المعاصر - بيروت ، دار الفكر - دمشق ، ط1 / 1995 .
41. اللغة والنحو بين القديم والحديث : عباس حسن ، دار المعارف - مصر ، د. ط. / 1966 .
42. محاولة ألسنية في الإعلال (بحث) : د. أحمد الحمو ، مجلة عالم الفكر - الكويت ، العدد 3 ، المجلد 20 / 1989 .
43. المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية : عبد المجيد عابدين ، مطبعة الشبكي - مصر ، ط1 / 1951 .
44. المسائل العضديات : أبو علي النحوي (ت 377 هـ) ، تحقيق : شيخ الراشد ، مطابع وزارة الثقافة السورية ، د. ط. / 1986 .
45. مسألتان في نقد التقدير في الجملة العربية (بحث) : عبد الوهاب محمود الكحلة : مجلة آداب المستنصرية - بغداد ، العدد 13 / 1986 .
46. معجم المصطلحات النحوية والصرفية : د. محمد سمير نجيب اللبدي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، دار الفرقان - الأردن ، ط1 / 1985 .
47. مفهوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي (بحث) : د. مرتضى جواد باقر ، اللسان العربي ، العدد 34 / 1990 .
48. المقتصد في شرح الإيضاح : عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) ، تحقيق : د. كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد - بغداد ، د. ط. / 1982 .
49. المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت 285 هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة ، عالم الكتب - بيروت ، د. ط. / د. ت.
50. ملامح التوليد في التراث اللغوي (بحث) : د. إبراهيم محمد ألبب مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية - سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد 1 ، المجلد 27 / 2005 . من أسرار اللغة : د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ، ط8 / د. ت.
51. ملامح النظرية التحويلية في الدراسات البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني 471 هـ (رسالة ماجستير) : محمود شاكر محمد ، كلية الآداب - جامعة بغداد / 2005 .
52. من الأنماط التحويلية في النحو العربي : د. محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب - القاهرة ، د. ط. / 2006 .
53. مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : د. نعمة رحيم العزاوي ، منشورات المجمع العلمي - بغداد ، د. ط. / 2001 .
54. المنصف لكتاب التصريف : أبو الفتح عثمان ابن جني (ت 392 هـ) تحقيق : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده - مصر ، ط1 / 1954 .
55. من قضايا اللغة والنحو : علي النجدي ناصف ، مكتبة نهضة مصر - مصر ، د. ط. / د. ت.
56. النحو العربي نقد وبناء : د. إبراهيم السامرائي ، دار الصادق - بيروت ، د. ط. / د. ت.

57. النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج : د. عبده الراجحي ، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ، د . ط . / 1988 .
58. النزعة المنطقية في النحو العربي : د. فتحي عبد الفتاح الدجني ، وكالة المطبوعات - الكويت ، ط 1 / 1982 .
59. نظريات في اللغة : أنيس فريحة ، دار الكتاب اللبناني - بيروت ، ط 2 / 1981 .
60. نظرية الأصل والفرع في النحو العربي : د. حسن خميس الملح ، دار الشروق - الأردن ، ط 1 / 2001 .